محورية القرآن

في فكر السيد كمال الحيدري

بقلم

سلمان عبدالأعلى

(محورية القرآن) في فكر السيد كمال الحيدري

تحدث السيد كمال الحيدري –حفظه الله– في برنامجه الشهير (مطارحات في العقيدة) في شهر رمضان المبارك لهذا العام ١٤٣٤هـ حول رؤيته فيما يتعلق بمحورية القرآن الكريم، في حلقة بعنوان (من إسلام الحديث إلى إسلام القرآن)، وبين بأنه لا يستهدف بذلك إسقاط الحديث والسنة عن الاعتبار، لأنه لا يتمسك بمقولة (حسبنا كتاب الله) لاعتقاده بأنها باطلة.

وعلى الرغم من التوضيح الذي قدمه السيد الحيدري في هذا الشأن؛ تفاجأت عندما سمعت البعض يصف كلامه بأنه يريد أن يلغي الحديث، وأنه لا يختلف في أطروحته هذه عن مقولة (حسبنا كتاب الله) الذي أكد السيد الحيدري بنفسه بأنه لا يُقرها، حيث ردد البعض هذا ونسبه له، وكأنه لم يوضح ذلك نهائياً !!

لذا سأحاول في هذا الموضوع توضيح رؤية السيد الحيدري -حفظه الله- كما أرادها هو، لا كما فهمهما البعض أو أرادوا أن يفهموها، فالبعض وللأسف الشديد مارس تشويهاً لرؤية السيد الحيدري فيما يخص هذه النقطة، حيث قام بالرد عليه فيها، ولكن بعد حرفها عن مسارها، وتشويه المراد الحقيقي الذي أراده منها.

وهذا لا يعني بأنني أدعي بأن كل ما طرحه السيد الحيدري بهذا الخصوص هو الحق المطلق الذي لا يشوبه باطل أو أن كل ما يطرحه الآخرون هو الباطل الذي يفتقر إلى الحق، لا وكلا فهذا أمر لا أدعيه، وهو متروك لتقييم المتخصصين في هذا المجال، فلهم الحق في قبوله أو رفضه، ولكن ما يهمني هو عرض وجهة نظر السيد –حفظه الله- دون أي إضافات قد تتسبب في حرف كلامه عن مواضعه.

القرآن في حديث رسول الله

بعد أن تناول السيد الحيدري القرآن في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، طرح هذا السؤال: "لو سألنا سائل: لماذا هذا البحث ومن لا يعلم بأن القرآن له محورية، وأنه هو المرجعية الأولى في معارفنا الدينية؟".

وبين السيد الحيدري بأنه تناول هذا الموضوع لأمرين، وهما:

- الأمر الأول: يقول فيه: "إنني أعتقد بأن كل ما وقع في الاختلاف بين المسلمين كثير منه كان منشأه الحديث وليس منشأه القرآن الكريم، وإلا لو كان من اليوم الأول نحن رجعنا إلى القرآن الكريم، وجعلنا المحور هو القرآن الكريم، لا أقول أنه لا توجد هناك اختلافات، لأن هناك مناهج في فهم القرآن، ولكن كثير من الاختلافات كان يمكن حلها لوجود مرجعية متفق عليها بين جميع المسلمين، ولكن عندما نأتي إلى الروايات نجد أن الأمر ليس كذلك، فإن مرجعية أهل السنة مجموعة من المصادر، ومرجعية الشيعة مجموعة أخرى من

المصادر، ومرجعية ألف وباء وجيم من حيث الروايات مختلفة، ومن حيث الرجال يختلفون ومن حيث الجرح والتعديل يختلفون، ولكن في القرآن لا يوجد اختلاف. إذن من حيث المرجعية لا يوجد هناك أي اختلاف بين أي مسلم ومسلم آخر، من أي جهة، ومن أي مذهب، ومن أي اتجاه، ومن أي فرقة و...و... و إلى غير ذلك". ويضيف بقوله: "إذن أتصور لو رجعنا إلى القرآن استطعنا أن نوحد مرجعية المعارف الدينية، نعم قد نختلف في فهم الآيات القرآنية، ولكن هذا غير الاختلاف في أصل المرجعية"[١].

- الأمر الثاني يقول فيه السيد الحيدري: "أن الإسلام الذي جاء في القرآن في محاوره الأساسية يختلف في كثير من أبعاده عن إسلام الحديث، أي حديث كان، حديث السنة قبل الشيعة، وحديث الشيعة قبل السنة، ... طبعاً هذه ليست دعوه للاستغناء عن السنة، أبداً أبداً، ليست دعوى لإلغاء

[١] راجع كلام السيد الحيدري في حلقة (القرآن في حديث رسول الله)، القسم الثالث، في الليلة الرابعة من شهر رمضان لهذا العام ١٤٣٤هـ.

السنة أبداً، ليست دعوى لتهميش السنة أبداً... أن الحديث لو أعطيت له المرجعية الأولى سواء عند السنة من غير إرجاع الحديث إلى القرآن أو عند الشيعة من غير إرجاع الحديث إلى القرآن، وجعل القرآن هو المعيار لفهم الحديث فإن إسلام الحديث شيء وإسلام القرآن شيء آخر. علينا أن نلتفت إلى هذه الحقيقة وهي أنه إذا أردنا أن نقف على إسلام الحديث علينا أن نعرف إسلام القرآن أولاً، لابد أن نجعل من إسلام القرآن الإسلام الذي يعرفه لنا القرآن نجعله هو المحور نجعله هو الميزان، نجعله هو المعيار، وعند ذلك ندخل إلى إسلام الحديث، يعني الإسلام الذي جاءت به الأحاديث"[٢].

بعد ذلك يبين السيد الحيدري بأنه لا يتكلم عن السنة الواقعية التي صدرت عن النبي والأئمة عليهم السلام، وإنما يتكلم عن السنة المدونة، السنة المنقولة إلينا، السنة المحكية، لا عن السنة الواقعية الحقيقية، لأن السنة الواقعية كما يقول السيد الحيدري "لا إشكال ولا

[٢] راجع المصدر السابق.

شبهة أن ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله هو الإسلام الحقيقي، (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) و(وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)، ما عندنا شك في هذا، ولكن الكلام فيما نقل إلينا من الحديث، حتى صعد رسول الله صلى الله عليه وآله، في زمانه وقال: قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَّابَةُ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"[٣].

وبعدها يبين السيد الحيدري بأن هذا المصطلح ليس له، وإنما هو للمفكر المعروف جورج طرابيشي، وهو عنوان لكتاب له بعنوان (من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث)، وأكد السيد الحيدري بأنه لا يريد أن يقول بأنه يوافق ما جاء في الكتاب، ولكنه يقول: "وإنما أريد أن أبين أن الإسلام الذي بينه القرآن، إسلام القرآن، الإسلام القرآني يختلف في كثير من أبعاده عن الإسلام الروائي أو الحديثي"[٤].

ويلخص السيد الحيدري كلامه بقوله: "لابد أن نأخذ ديننا أولاً من من؟ نأخذه من القرآن، إسلام القرآن، حقائق المعارف

[٣] راجع المصدر السابق.
[٤] راجع المصدر السابق.

القرآنية نجعلها هي المحور، هي الأساس، هي المعيار، ثم نقيس عليها إسلام الحديث"[٥].

نظرة حول ما ذكره السيد الحيدري حول محورية القرآن

لاحظنا من العرض السابق بأن السيد الحيدري يرى محورية القرآن الكريم، وأنه المرجعية الأولى في جميع معارفنا الدينية، لأنه الكثير من الاختلافات التي بين المسلمين منشأها الحديث وليس القرآن كما يقول.

ولهذا فالسيد الحيدري يرى أن المحورية والمرجعية الأولى لابد وأن تكون للقرآن الكريم، ولابد أن يكون القرآن كذلك هو الميزان، وهو المعيار لجميع المعارف الدينية، وغيرها من العبارات التي يستعملها في هذا الشأن، ولا يدعي السيد الحيدري بأنه إذا كان ذلك للقرآن الكريم، فإنه لن تحدث أي اختلافات بين المسلمين—كما هو في أحد إشكالات البعض عليه- وإنما يقول ستبقى الاختلافات نتيجة

[٥] راجع المصدر السابق.

لاختلاف المناهج المتبعة في فهم القرآن، ولكن يمكن بهذه الطريقة حل الكثير من الاختلافات، وليس كلها، وذلك لوجود مرجعية متفق عليها بين جميع المسلمين.

كما يؤكد السيد الحيدري بأنه لا يدعو لإلغاء السنة ولا إلى تهميشها -كما هو أيضاً في إشكال آخر يوجه له- وإنما يريد أن يجعل القرآن الكريم هو المحور والمعيار والمرجعية الأولى لفهم الحديث، وبين السيد الحيدري بأن مقصوده من الحديث والسنة، السنة المدونة - المنقولة والمحكية- لا كما يحاول أن يصوره البعض بأنه كان يقصد السنة الحقيقية والواقعية.

ومن هنا يتضح لنا هشاشة بعض الاتهامات التي توجه للسيد الحيدري، كالقول بأنه يؤمن بمقولة (حسبنا كتاب الله)، لأنه كما يقول لا يريد إلغاء السنة ولا يسعى لتهميشها، بل يرى محورية القرآن ومدارية السنة[٦]، وهذا يختلف كلياً عن مضمون هذه المقولة الباطلة.

[٦] هذا الفظ لم يستعمله السيد الحيدري في حلقات البرنامج، وإنما هو موجود في بعض مؤلفاته ككتاب منطق فهم القرآن الكريم.

وكذلك يتضح لنا بطلان النقض الذي قدمه البعض على كلامه بالقول بأن الرجوع إلى القرآن لا يجعلنا نتفق مع الآخرين حول مسألة إمامة الإمام علي بن أبي طالب (ع)، فهذا أمر لم يدعيه السيد الحيدري، فهو لم يقل بأنه ستُحل جميع الاختلافات التي بين المسلمين في حال الرجوع إلى القرآن الكريم حتى يصح النقض عليه بهذا النقض !!

والغريب أن بعضهم ذهب في محاولة بائسة لتشويه رؤية السيد الحيدري بكاملها بالقول بأنه قد اعتمد في كلامه على كاتب مسيحي، وهو جورج طرابيشي، وبالرغم من أن السيد الحيدري قد قال بنفسه بأنه أخذ المصطلح منه، وهذا لا يعني أنه يتفق معه في كل شيء، إلا أن البعض تجاهل هذا كلياً، ولا أدري كيف تجاهل من أشكل بهذا الإشكال تنظير السيد الحيدري لهذه المسألة قرآنياً وروائياً، وصورها وكأنها بالكامل مبنية على أطروحات طرابيشي، على الرغم

من أنها موجودة تنظيرياً وتطبيقياً في جميع كتبه ومؤلفاته التي يتناول فيها المعارف الدينية[٧].

وللأسف الشديد بأن الكثير من الردود التي تقدم ضد السيد الحيدري هي على هذه الشاكلة، فالهدف منها هو النيل منه وتشويه صورته، وليس المناقشة العلمية لرؤيته الحقيقية –لا لرؤيته المشوهة المنسوبة له– كما هو واضح.

مع السيد الحيدري في رؤيته حول محورية القرآن الكريم.

تحدث السيد الحيدري في حلقة بعنوان (من إسلام الحديث إلى إسلام القرآن)، عن رؤيته حول محورية القرآن الكريم، وبين في المقدمة بأن هناك منظومتين يمكننا أن نأخذ منهما جميع المعارف:

١. منظومة القرآن الكريم.

٢. منظومة الحديث.

[٧] لتفاصيل أكثر وللاطلاع على معالم وجود هذه الرؤية في تراث السيد الحيدري راجع كتاب السيد كمال الحيدري قراءة في السيرة والمنهج، للدكتور حميد مجيد هدو.

وفيما يخص منظومة القرآن الكريم بين السيد الحيدري بأننا نستطيع أن نستخرج منه جميع منظومة المعارف، في العقائد، في النظرية الأخلاقية، في الفقه، في علم التاريخ، في قصص الأنبياء، في السياسة، في الإدارة، وغير ذلك، ويبين السيد الحيدري كذلك بأن القرآن الكريم بشكل واضح وصريح قد أشار إلى هذا المعنى في آيات متعددة، منها قوله تعالى: (وَنزلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ)، وقوله تعالى: (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[٨].

كما تحدث السيد الحيدري بعدها عن منظومة الحديث، وبين أنه أيضاً توجد فيه منظومة كاملة للمعارف الدينية، فكل ما نحتاج له موجود في السنة، من أخلاق، وفقه، وتاريخ، وإدارة، وسياسة، وغيرها[٩].

ولا أعتقد بأن أحداً سوف يستنكر على ما قاله السيد الحيدري في هذه النقطة بالتحديد، لأنها واضحةً جداً، فكل ما نحتاج إليه فعلاً

[٨] راجع الحلقة التي بعنوان (من إسلام الحديث إلى إسلام القرآن)، القسم الأول.
[٩] راجع المصدر السابق.

جاءت به آيات قرآنية وروايات عن النبي وأهل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام.

السيد الحيدري والعلاقة بين القرآن والروايات

بعد ذكره لما تقدم يبدأ السيد الحيدري في طرح بعض التساؤلات حول العلاقة المفترضة بين القرآن والسنة بقوله:"هاتان المنظومتان، يعني دائرة المنظومة القرآنية، والمنظومة الدينية الواردة في الروايات، هل هما: جزيرتان مستقلتان إحداهما عن الأخرى، هل أحدهما هو الأصل والآخر هو الفرع؟ أو أحدهما أصل والآخر يرمى به عرض الجدار؟ ماذا نفعل؟ لأنه يوجد عندنا معارف في القرآن، في التوحيد، وكذلك موجودة السنة، يوجد عندنا كذلك عن المعاد، عن الإمامة، عن كل شيء. ما هي العلاقة بين هاتين المنظومتين؟"[١٠].

وللإجابة عن هذه التساؤلات يبين السيد الحيدري بأن هناك ثلاثة اتجاهات، وسوف نذكرها باختصار في التالي:

[١٠] راجع المصدر السابق.

- الاتجاه الأول: وهم القرآنيون، ويبين السيد الحيدري بأن هؤلاء يكتفون بالقرآن الكريم، ويقولون كفى بالقرآن مصدراً لجميع المعارف. ويوضح كذلك بأن هؤلاء لا يرفضون السنة، ولكنهم يقولون لو أننا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لنا لسمعنا منه، ولكنهم لا يقبلون السنة المنقولة، لأنها ظنية أو مشكوكة أو موضوعة أو نحو ذلك.
- الاتجاه الثاني: يقول: أن المرجعية للحديث لا للقرآن، تقول وهل يوجد للقرآن دور أو لا، هنا في هذا الاتجاه الثاني فريقان من علماء الإمامية.

١. الفريق الأول: وهو الاتجاه الذي اسقط القرآن من الاعتبار وقال أن القرآن معتبر وحجة، ولكن لمن خوطب به، وهو النبي والأئمة ولا علاقة لنا به لأنه لم يخاطبنا، فهذا الخطاب غير موجه إلينا، وهذه رسالة نزلت من السماء والمخاطب بها النبي والأئمة، والأئمة أخذوا على عاتقهم أن يبينوا القرآن للأمة، فإذن ما ورد عن النبي والأئمة من الحديث هو الذي يجب الاعتقاد به والإيمان

به، أما القرآن فلا يحق لنا أن نرجع إليه، لأنه لم نخاطب بهذا القرآن وبهذا الوحي، وهذا هو الاتجاه المعروف بالاتجاه الاخباري، وهو الاتجاه المعروف بالمحدثين.

٢. الفريق الثاني يقول: لا، المرجعية للحديث، ولكنه في جملة من الأحيان هذا الحديث الذي وصل إلينا يقع فيه تعارض وتهافت، فلا نعلم نرجح هذه الكفة أو نرجح هذه الكفة، لأنه قلنا أنا لسنا في خدمة النبي حتى نسأله نعمل بها الحديث أو نعمل بهذا الحديث، جاءنا حديثان متعارضان كما يُقال، ولم نجد طريقاً لرفع التعارض فماذا نفعل؟ هذا الاتجاه يقول هنا يبرز دور القرآن، أين يبرز في التعارض بين الروايات، وإلا قبل التعارض نحتاج إلى القرآن أو لا نحتاج؟ لا نحتاج أبداً، لا يوجد دور للقرآن، الدور للقرآن يأتي في مراحل متأخرة، وهو في المرحلة الثالثة أو الرابعة، عندما تتعارض الروايات للترجيح، هنا يقول هذا الاتجاه ما وافق القرآن يتقدم على ما لم يوافقه أو ما خالف القرآن، إذن هو يقبل القرآن، ولكن يقبله

كأصل ومحور أو السنة كأصل ومحور، لا السنة عنده أصل ومحور، ولكنه في مرحلة من المراحل لا يسقط القرآن من الاعتبار كما في الفريق الأول[١١].

توضيح هام حول أصحاب الاتجاه الأول (القرآنيون)

طبعاً إلى هنا لا توجد أية إشكالية، ولكن ما نريد توضيحه هنا، هو أن البعض نسب للسيد الحيدري أنه يقول بنظرية حسبنا كتاب الله كما مر علينا سابقاً مع أن السيد الحيدري لا يرفض السنة ولا يلغيها بالشكل الذي يُصوره هؤلاء، بل يؤكد على دور السنة في ظل القرآن كما يعبر، بل ويبين –حفظه الله– أنه حتى بالنسبة لأصحاب الاتجاه الأول، وهم الذين قالوا القرآن وكفى، فإنهم يختلفون في رؤيتهم هذه عن نظرية حسبنا كتاب الله، إذ يقول في ذلك: "حتى أولئك الذين قالوا القرآن وكفى، أيضاً ليس مرادهم نظرية حسبنا كتاب الله، لأن النظرية أو الذي قاله الخليفة الثاني في مرض النبي (صلى الله عليه وآله) حسبنا كتاب الله، السنة التي كانت أمامه

[١١] راجع المصدر السابق.

ليست سنة منقولة ومحكية، بل سنة واقعية، رسول الله يتكلم، فهو يريد أن يقصي لا السنة المحكية بل السنة الواقعية، فرق كبير، بخلاف نظرية القرآنيين في العصور الموجودة سنة وشيعة، هؤلاء يريدون أن يقصوا السنة المحكية لوجود آفات فيها"[١٢].

ويردف قائلاً: "إذن حتى من يقول بالقرآن وكفى، في عصرنا الحاضر ليست نظريته نظرية الخلفية الثاني، إذن لابد أن نميز بين نظرية حسبنا كتاب الله التي قال بها الخلفية الثاني، وبين نظرية القرآنيين المحدثين من سنة وشيعة بهذا الفرق وهو أن الخليفة الثاني كان يريد أن يقصي السنة من خلال هذا الكلام الواقعية، وهؤلاء يريدون إقصاء السنة المحكية، لأنهم يؤمنون بالرسول لو سمعوا من الرسول، ولكن يقولون هذا الذي وصلنا لا نطمئن أنّه صدر من رسول الله"[١٣].

وهنا نتساءل: كيف ينسب البعض هذه النظرية (حسبنا كتاب الله) للسيد الحيدري في حين نجده ينفي ذلك حتى عن أصحاب الاتجاه الأولى الذين يلغون السنة بالكامل ولا يرون مصدراً

[١٢] راجع من إسلام الحديث إلى إسلام القرآن، القسم الثالث.
[١٣] راجع المصدر السابق.

للتشريع إلا القرآن؟! فهل يعقل أن لا تنطبق هذه النظرية على من يلغي الحديث بالكامل، وتنطبق على من يرى بمحورية القرآن وبمدارية السنة؟!

السيد الخوئي المحورية للقرآن أو للسنة

تحدث السيد الحيدري عن السيد الخوئي، وذكر بأنه ليس ممن لا يعتمد على القرآن ويلغي الحديث كالاتجاه الأول، وليس ممن يجعل القرآن محورية وأصل وأساس لفهم المعارف الدينية، وإنما المحورية للسنة، ويرجع إلى القرآن بعدها في علاج التعارض بين الروايات، وأشار إلى ما جاء في كتاب السيد الخوئي، مصباح الأصول، نشر دار الفقاهة، المجلد الثالث ص٤٣٥ حيث قال في هذه الصفحة: "الكلام في علاج التعارض". ثم يقول في ص ٤٣٩: "ما ذكره صلى الله عليه وآله من الأخبار الدالة على أن مخالف الكتاب زخرف أو باطل".

ويوضح السيد الحيدري بأن أصحاب هذا الإتجاه والذي منهم السيد الخوئي (قده) يقبلون القرآن، ولكن لا يقبلونه كمحور

وأصل أولي لفهم المعارف الدينية، وإنما إذا ضاقت عليهم أمور الرواية يرجعون للقرآن[١٤].

وبعدها قدم السيد الحيدري نقداً لأصحاب هذا الاتجاه بالقول بأنهم لم يعتنوا بالقرآن، وبين بأنه يعني العناية العلمية لا العناية الأخرى –إن صح التعبير– كما حاول أن يصوره البعض، فالسيد الحيدري يقول: "طبعاً يكون في علمكم، أصحاب هذا الاتجاه لم يعتنوا بالقرآن، بأي معنى؟ يعني لم تتجه أبحاثهم الدرسية والتراثية والكتابية وتربية العلماء باتجاه القرآن، وإنما باتجاه الحديث"[١٥].

وبعدها يضرب مثالاً بالسيد الخوئي (قده) حيث يقول: "السيد الخوئي تراثه بحمد الله تعالى بعشرات المجلدات ٥٠ مجلد في الفقه، ٣٠ مجلد في الرجال، لا أعلم لعله ٢٠ أو ٣٠ أو ٤٠ سبع دورات في الأصول، أصول الفقه، ولكنه لا يوجد له إلا كتاب واحد يتيم في القرآن، وهو البيان في تفسير القرآن، لماذا السيد الخوئي لم

[١٤] راجع من إسلام الحديث إلى إسلام القرآن، القسم الأول.
[١٥] راجع المصدر السابق.

يكن له ٥٠ مجلد في القرآن؟! لماذا لم يكن له درس في الحوزة العلمية؟!"[١٦].

وبعدها يعلل ذلك بقوله: "لأنه بيني وبين الله هو يعتقد بأن المحورية العامة في فهم المنظومة الدينية إنما تكون من خلال الرواية... وليس من خلال القرآن"[١٧]. ويبين السيد الحيدري بأنه لو كان منهجه العلمي ورؤيته العلمية قائمة على محورية القرآن لكان غير ذلك.

شاهد آخر على كلام السيد الخوئي

ثم ذكر السيد الحيدري شاهد آخر لكون السيد الخوئي يرى المحورية لفهم المعارف الدينية من خلال الرواية، وهو ما ذكره في كتاب التنقيح في شرح العروة الوثقى، تأليف ميرزا علي الغروي التبريزي، مؤسسة أهل البيت، حيث هناك في المجلد الأول، ص٢٠ يتكلم حول (مباحث الاجتهاد)، ثم يأتي في ص٢٤ يقول: "مبادئ الاجتهاد، ما هي العلوم التي يحتاجها المجتهد لاستنباط المعارف الدينية؟". ويبين

[١٦] راجع المصدر السابق.
[١٧] راجع المصدر السابق.

السيد الحيدري بأن السيد الخوئي يقول: يحتاج إلى علمان: العلم الأول: علم الأصول، العلم الثاني: علم الرجال، علم الأصول للفقه، وعلم الرجال لمعرفة السند، ثم يحتاج إلى علم اللغة وقواعد اللغة و... و... إلى غيره... ثم يذكر السيد الحيدري ما قاله السيد الخوئي في ص٢٧ من نفس الكتاب، حيث يقول: "المتحصل أن علم الرجال من أهم ما يتوقف عليه رحى الاستنباط والاجتهاد. وأما غير ما ذكرناه من العلوم، فهو فضل لا توقف للاجتهاد عليه"[١٨].

ومن ثم يعلق السيد الحيدري على كلام السيد الخوئي بقوله: "يعني يشترط أن يكون مفسراً أو لا يشترط؟ لا يشترط، فضل هامش، تريد أن تكون مفسر فبها ونعمت، ما تريد لا تكون مفسر، تريد أن تكون متكلم تعرف العقائد ما تريد تعرف، هذا لا يؤثر على كونك مجتهداً تام الاجتهاد.."[١٩].

وهذا يختلف عن رؤية السيد الحيدري الذي يرى بأن المعرفة بالتفسير من المعارف التي يجب أن تتوفر في العالم الديني، حيث

[١٨] راجع المصدر السابق.
[١٩] راجع المصدر السابق.

يقول: "لابد أن يكون العالم على دراية كاملة بالتفسير، كما يكون له دراية كاملة بوسائل الشيعة، كيف لو أنك سألت أي فقيه عن مصدر فتوى أفتى بها، يقول: للصحية الكذائية، أو للحسنة الكذائية، فكما أن الفقه كالعجينة في يد الفقيه –كما عبر الشهيد محمد باقر الصدر– كذلك لابد أن يكون التفسير ومعرفة التفسير كالعجينة في يد العالم الديني"[٢٠].

مهما يكن، فإن السيد الحيدري بعد أن شرح الاتجاهين خلص إلى هذه النتيجة بالقول: "إلى هنا اتضح لنا بشكل واضح وصريح في الاتجاه الثاني يوجد لنا فريقان...كلاهما متفق على محورية السنة، ولكن الفريق الأول يسقط القرآن عن الاعتبار، ولكن الفريق الثاني يعطي للقرآن الاعتبار عند التعارض، يعني في دائرة ضيقة جداً"[٢١].

[٢٠] راجع كتاب مشروع المرجعية وآفاق المستقبل لدى السيد كمال الحيدري، مؤسسة الثقلين للثقافة والإعلام ص٢١، ولمعرفة المزيد من التفاصيل حول رية السيد الحيدري بالإمكان مراجعة الكتاب السابق من ص ٢٠ وما بعدها. وكذلك يمكن مراجعة درسه بعنوان "من لم يجتهد في التفسير لا يكون مجتهداً في الفقه. بتاريخ ٨ ربيع الثاني ١٤٣٤هـ والمنشور على اليوتيوب.

[٢١] راجع المصدر السابق.

نظرة حول كلام السيد الحيدري حول السيد الخوئي

لقد حاول البعض أن يقول بأن السيد الحيدري يقول بأن السيد الخوئي لا دور للقرآن عنده، وأنه لا يعتني بالقرآن، ومن ثم ذكر بعض فقرات مقدمة تفسير البيان للسيد الخوئي للتدليل على أنه كان يهتم ويعتني بالقرآن، وهذا حرف واضح لكلام السيد الحيدري، إذ السيد الحيدري كان يقصد من الاهتمام العناية العلمية بمعنى أنه "لم تتجه أبحاثهم الدرسية والتراثية والكتابية وتربية العلماء باتجاه القرآن، وإنما باتجاه الحديث" كما يقول، كما أن المقصود العناية العلمية بالمقارنة بالعناية العلمية في الفقه والأصول والرجال كما هو واضح في كلماته أيضاً، ولا أدري كيف حاول البعض حرف الكلام بهذه الطريقة المكشوفة، فهل كان السيد الخوئي يعتني عنايةً علميةً من ناحية التدريس وتربية العلماء بالقرآن أكثر أو بالحديث (في الفقه والأصول والرجال)؟! من الواضح بالنظر إلى نشاطاته العلمية فيما يخص الحديث في علم الفقه والأصول والرجال أن عنايته فيهما أكثر وأكبر.

ومن هذه النقطة حاول البعض أن يقول بأن السيد الحيدري قد أساء للسيد الخوئي، لأنه قال بأن السيد الخوئي لا دور للقرآن عنده، وأنه لا يعتني بالقرآن وهكذا، ورغم أن كلام السيد الحيدري كان واضحاً أنه كان يقصد المحورية الأولى، والأصل الأولي في فهم منظومة المعارف الدينية، هل هي للروايات أو للقرآن؟ حيث ذكر أنه بالنسبة للسيد الخوئي بأنه يرى أن المحورية للحديث، لا للقرآن، وأنه أيضاً لا يسقط القرآن، ولكنه لا يجعله المحور والإنطلاقة لفهم المعارف الدينية.

ولهذا على من يخالف السيد الحيدري في هذه النقطة أن يثبتوا أن المحورية في فهم المعارف الدينية لدى السيد الخوئي هي للقرآن وليس للسنة؟ خصوصاً وأن السيد الحيدري ذكر ما يتوقف عليه الاجتهاد عند السيد الخوئي من علوم، ولم يذكر من ضمنها القرآن الكريم.

والغريب أن البعض حاول أن يبرر ذلك بالقول بأن السيد الخوئي كان يشير إلى المبادئ التي يتوقف عليها القدرة على الاستنباط وليس إلى مصادر الاستنباط.

ولا خلاف في أن القرآن الكريم أحد مصادر الاستنباط، لأنه أحد مصادر التشريع عند جميع المسلمين، ولكن القرآن بالإضافة إلى كونه مصدراً للتشريع، هو أيضاً من العلوم والمبادئ التي يتوقف عليها الاستنباط لدى السيد الحيدري، وذلك لأننا مطالبون بعرض الروايات على القرآن، وإذا كان ذلك صار القرآن من العلوم الآلية من هذه الناحية، وليس مجرد مصدراً للتشريع فحسب، فهو عند السيد الحيدري مصدر للتشريع ومحوراً ومعياراً وميزاناً لاعتماد السنة، ولهذه فإن من ذكر هذا الكلام وقع في مغالطة كبرى.

كذلك من ضمن المغالطات التي وقع فيها البعض هي محاولة استغلال قول السيد الحيدري أن: "السيد الخوئي تراثه بحمد الله تعالى بعشرات المجلدات ٥٠ مجلد في الفقه، ٣٠ مجلد في الرجال، لا أعلم لعله ٢٠ أو ٣٠ أو ٤٠ سبع دورات في الأصول، أصول الفقه،

ولكنه لا يوجد له إلا كتاب واحد يتيم في القرآن، وهو البيان في تفسير القرآن، لماذا السيد الخوئي لم يكن له ٥٠ مجلد في القرآن؟، لماذا لم يكن له درس في الحوزة العلمية؟ " في أن السيد الحيدري يريد أن يقول من لم يكن له خمسين مجلداً في التفسير، فهو لا يعتني بالقرآن، وهذه مأساة كبرى في الفهم، والغريب أن يذهب من يقول هذا الكلام بعدها للقول بأن السيد الحيدري نفسه ليس لديه ٥٠ مجلداً في التفسير، وكذلك السيد الخميني، والسيد الصدر، والسيد الخامنائي، وهكذا. ومن ثم بنى على ذلك نتيجة، وهي أن السيد الحيدري وهؤلاء الأعلام ليس لديهم علم بتفسير القرآن عند السيد الحيدري، لأنه يرى بأن وجود ٥٠ مجلداً في التفسير شرطاً لفهم القرآن.

والغريب كيف حاول هؤلاء استغلال طريقة السيد الحيدري في المناقشة الخطابية كما هو واضح لكل من شاهد الحلقة، للقول بأنه قد وضع هذا شرطاً لمن لديه معرفة بالتفسير، وهو أن يكون عنده

خمسون مجلداً، حقيقةً أعتقد أن هذه إحدى النكات الهزلية المضحكة، وليست ملاحظة أو نكتة بمعناها العلمي !!

محورية القرآن في فكر السيد الحيدري

يبين السيد الحيدري موقفه من الاتجاهين السابقين بالقول بأنه يرفض رفضاً قاطعاً الاتجاه الأول لأنه تهميش للحديث واسقاط له عن الاعتبار، وهذا خلاف القرآن الكريم الذي قال مخاطباً للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)، وكذلك قال القرآن: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)، ولهذا فالاتجاه الأول وهو الذي يصطلح عليه الاتجاه القرآني لا يوافق عليه السيد الحيدري، وكذلك الاتجاه الثاني لا يوافق عليه، سواءً ما يتعلق بقول الفريق الأول الذي يرى عدم الاعتبار بالظواهر القرآنية، أو الفريق الثاني الذي يحصر دور القرآن فقط عندما تتعارض الأدلة[٢٢].

[٢٢] راجع من إسلام الحديث إلى إسلام القرآن، القسم الأول.

وبعد هذا النقد، يبدأ السيد الحيدري لطرح توجهه في ما يخص القرآن والسنة، وهو ما عبر عنه بالاتجاه الثالث بقوله: "أعتقد أن القرآن الذي بأيدينا بما أشتمل عليه يشكل هو المحور والمصدر الأصلي الذي لا يدانيه مصدر، ولا يقع في قباله أي شيء آخر، وهو المصدر الأول والأخير لجميع المعارف الدينية، ولكن القرآن هو الذي يبين الأطر والقواعد والأسس والقوانين الدستورية –إن صح التعبير– وتأتي السنة في ظل القرآن"[٢٣].

فالسيد الحيدري يبين هنا أن القرآن لا توجد فيه كل الأحكام التفصيلية، ولكنه يبين الأطر والقواعد والأسس، فهو يرى أن القرآن هو المحور والمرجعية الأولى، والمصدر الأصلي، والأساس، والميزان والمعيار، وتأتي السنة في ظله، ويرفض أن تكون المحورية والمرجعية الأولى للسنة وللحديث، ويبين السيد الحيدري بأنه يقصد السنة المنقولة المحكية لا السنة الواقعية، ويبين بأنه لو كنا نعيش مع رسول الله صلى الله عليه وآله ونسمع منه مباشرة، فإننا لا نعرض كلامه

[٢٣] راجع المصدر السابق.

على كتاب الله سبحانه وتعالى، لأن الله تعالى قال: (وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)، ولكننا نحتكم في الحديث المنقول للقرآن الكريم، فأي حديث جاء سواءً كان في صحيح البخاري أو في صحيح الكافي، يعرض على كتاب ربنا، فإن كان منسجماً معه فهو مقبول، وإن كان غير منسجم، مخالف، معارض، مباين، مناقض، فهو زخرف نرمي به عرض الجدار[٢٤].

وأما عن كون السيد الحيدري يرى أن القرآن هو الذي يبين الأطر والقواعد والأسس والقوانين وتأتي السنة في ظل ذلك، فيشرح المراد من كلامه بقوله: "لذا تجدون، أن المجالس النيابية والمجالس التشريعية التي تقنن دائماً تقنن ضمن الأطر والقوانين الدستورية، ولهذا تجد أن هناك مجالس تسمى فقهاء الدستور. عندما تشرع المجالس النيابية أو التشريعية شيء لابد يعطى القانون يصادق عليه من فقهاء القانون الدستوري، لماذا؟ لأن ذاك هو الأصل، ذاك هو المصدر

[٢٤] راجع المصدر السابق.

الأصلي. مصدر صيانة الدستور في الجمهورية الإيرانية أو المحكمة الدستورية في بلاد أخرى"[٢٥].

ولذلك يرى السيد الحيدري بضرورة فهم القرآن، وأن يوجد عندنا معارف قرآنية، إذ يقول: "نحن نحتاج إلى أن يوجد عندنا فقهاء القرآن قبل فقهاء السنة، وهذا هو المائز الأساسي بين ما أقول وبين ما يقوله أصحاب الاتجاه الثاني وخصوصاً سيدنا الأستاذ السيد الخوئي وتلامذته وأساتذته، وهذا المنهج هم لا يقولون أنه لكي يكون فقيهاً في السنة لابد أن يكون فقيهاً في القرآن عالماً في القرآن"[٢٦].

ويلخص السيد الحيدري رؤيته في هذه المسألة بقوله: "أنا معتقد بهذا الاتجاه الثالث، وهو أن السنة لا استقلالية لها في قبال القرآن، وليست مصدراً في قبال القرآن، بل هي لابد أن تفهم في ظل القرآن، ... إذن الرواية بتعبير النص القرآني ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

[٢٥] راجع المصدر السابق، ويمكنكم كذلك للاستفادة وزيادة الإطلاع مراجعة كتاب العقل الشيعي لـ عباس يزداني، تعريف أحمد القبانجي، نشر مؤسسة الإنتشار العربي، فهو يشترك مع السيد الحيدري في الخطوط العامة، راجع الصفحات التالية من الكتاب: ص ٩١، ص١٠٣،١٠١،١٠٠، وكذلك ص ١٠٧.

[٢٦] راجع المصدر السابق، وللمزيد من المعلومات حول رؤية السيد الحيدري فيما يخص القرآن الكريم، يمكنكم مراجعة كتاب مشروع المرجعية الدينية وآفاق المستقبل لدى السيد كمال الحيدري.

إِلَيْهِمْ) بالقدر الذي لا يتنافى مع القواعد العامة القرآنية"[٢٧]. ولقد ناقش السيد الحيدري ذلك وذكر بعض الأدلة عليه في بعض كتبه ومؤلفاته، وفي بعض دروسه التخصصية في الحوزة العلمية[٢٨].

نظرة حول رؤية السيد الحيدري حول محورية القرآن

طبعاً أطروحة السيد الحيدري حول هذا الأمر ليست جديدة بمعنى أنه يطرحها لأول مرة، فلقد ذكرها من قبل في كتاب (منطق فهم القرآن، الأسس المنهجية للتفسير والتأويل في ضوء آية الكرسي)، بقلم الدكتور طلال الحسن، ولقد أشار إلى ذلك السيد الحيدري في نفس البرنامج، حيث ذكر بأن هذا الكتاب يعطي البعد النظري (النظرية)، ومن جهة أخرى يحاول تطبيق هذا المشروع النظري على البعد التطبيقي في آية الكرسي، وينقل السيد الحيدري ما جاء في هذا الكتاب في المجلد الأول، ص٥١-٥٢، في الحاشية التي ذكرها الدكتور

[٢٧] راجع من إسلام الحديث إلى إسلام القرآن، القسم الأول.
[٢٨] راجع درسه المنشور في اليوتيوب بعنوان: مخاطر مهجورية القرآن في الحوزات العلمية بتاريخ ١ ربيع الثاني، لعام ١٤٣٤هـ.

طلال الحسن، حيث يقول: "عادة ما تساق في المقام نظريات أربع[٢٩]، وهي:

أ- نظرية محورية القرآن، ويُراد بها تفسير القرآن بالقرآن دون الرجوع إلى أمر آخر... .

ب- نظرية محورية السنة، ويُراد بها تفسير القرآن بالسنة الشريفة فقط لا غير، وهؤلاء هم أنفسهم الذين أنكروا حجية ظواهر القرآن... .

ت- نظرية محورية القرآن ومدارية السنة، ويُراد بها ما بينه السيد الأُستاذ أعلاه، وهذه النظرية هي النظرية المعتمدة عند السيد الطباطبائي في الميزان...."[٣٠].

فالسيد الحيدري يبين بأنه يعتقد بنظرية محورية القرآن ومدارية السنة كالسيد الطباطبائي، والمقصود بها طبعاً كما يقول السيد الحيدري: "يعني ندور مدار السنة، ولكن في ضوء القرآن[٣١]".

---

[٢٩] يعلق السيد الحيدري هنا بقوله: الآن نحن قلنا ثلاث والدكتور طلال الحسن يقول أربع و لا إشكالية في ذلك.

[٣٠] راجع منطق فهم القرآن للسيد كمال الحيدري، تقريرات الدكتور طلال الحسن الجزء الأول ص٥١-٥٢ في الهامش، منقول باختصار.

وبهذا يتضح لنا وبشكل واضح أن السيد الحيدري لا يقول بمقولة (حسبنا كتاب الله)، لأنه لا يسقط السنة، وإنما يريد أن يكون القرآن هو المحور، وهو الأصل، وهو الميزان والمعيار التي تفهم منه المعارف الدينية، والسنة تدور مداره إن صح التعبير.

ولا أدري ما هي الإشكالية فيما قاله السيد الحيدري حول هذه الرؤية، خصوصاً إذا كان هذا مبنياً على رؤية علمية تعالج بعض الإشكالات الموجودة، صحيح أن فيما قدمه نقد للآخرين المخالفين لهذه الرؤية، ولكن هذا أمر طبيعي، فإذا كان النقد مرفوضاً ويعد إساءةً حتى ولو كان ذلك من ناحية علمية، فلماذا نجد من يرفض نظرية السيد الطباطبائي وتوسم أحياناً بأنها عملياً نفس مقولة (حسبنا كتاب الله) عند بعض العلماء الذي لا يرون صحتها، أرجو أن لا تستغربوا من كلامي هذا، لأن بيانه في الآتي.

[٣١] لتفاصيل أكثر يمكن مراجعة الجزء الأول من كتاب منطق فهم القرآن الكريم للسيد الحيدري، تقرير الدكتور طلال الحسن، وكذلك يمكنكم مراجعة كتاب العلامة الحيدري قراءة في السيرة والمنهج للدكتور حميد مجيد هدو.

يقول أحد أستاذة الحوزة العلمية في درس خارج علم الأصول، وهو الشيخ محمد السند –حفظه الله– وهو يناقش نظرية السيد الطباطبائي في محورية القرآن، في درس بعنوان: حجية ظواهر القرآن، بعد أن يذكر نظرية السيد الطباطبائي وينقدها يقول: "ولكن مع الاحترام للعلامة الطباطبائي فان هذا المنهج كما مرّ بنا نتيجته ومقتضاه عملاً حسبنا كتاب الله وقد نحى هذا المنحى بعض تلامذة العلامة الطباطبائي"[٣٢]. فهل نعتبر هذا القول إساءة للعلامة الطباطبائي ولبعض تلامذته الذين وصفهم الشيخ السند بأن مقتضى المنهج الذي يتبعونه عملاً (حسبنا كتاب الله)؟! بالطبع لا، لأن ذلك جاء في مناقشة علمية، وإن كان اللفظ يبدو في ظاهرة بأنه إساءة لا تليق بالشخص العادي، فضلاً عن العلامة الطباطبائي وتلامذته.

[٣٢] راجع بحث خارج الأصول، للشيخ محمد السند، موضوع: حجية ظواهر السنة، بتاريخ ١٤٣٤/٣/٢٩هـ.

الاهتمام بالقرآن في الحوزات العلمية

هنا أجد من الضروري أن أجيب على هذا السؤال: هل هناك أية إشكاليات نعاني منها في تعاملنا مع القرآن الكريم أم أن تعاملنا معه قد وصل إلى حد يمتنع فيه العثور على أي خلل أو قصور؟!

وللإجابة عن هذا السؤال أستطيع أن أؤكد بأنه يوجد لدينا الكثير من الإشكاليات في تعاملنا مع القرآن الكريم، سواءً كان ذلك من ناحية علمية (في فهمه أو عدم فهمه) أو من ناحية عملية (نعمل به أو لا نعمل).

ولهذا أعتقد بأنه لابد لنا أن نفهم أطروحة السيد الحيدري في إطار هذا الأمر، وليس خارج عنه، فالكثير من العلماء انتقدوا طريقة تعاملنا مع القرآن، بل وطريقة فهم أو عمل بعض العلماء بالقرآن أيضاً، وفيما يلي نعرض لنماذج من أقول بعضهم للفائدة.

■ السيد الخميني دور القرآن في الواقع

يقول السيد الخميني حول القرآن الكريم: "وإذا بالقرآن يصبح على ايدي الحكومات الجائرة والمعممين الخبثاء-اللذين يفوقون الطواغيت سوءً- وسيلة لإقامة الجور والفساد وتبرير ظلم الظالمين والمعاندين للحق تعالى. ومن المؤسف أن يقتصر دور القرآن الكريم —وهو كتاب الخلاص-وبسب المتآمرين والاصدقاء الجهلة، على المقابر والمآتم، ويصبح —وهو النازل لجمع المسلمين والبشرية جمعاء وليكون منهجاً لحياتهم-وسيلة للتفرقة والاختلاف أو أنه يُهجر كلياً"[٣٣].

فخطاب السيد الخميني هنا يضع اليد على بعض الإشكاليات طريقة تعامل البعض مع القرآن، وهو أن البعض يتخذ القرآن وسيلة لإقامة الجور والفساد وتبرير الظلم، ومنهم الحكومات الجائرة وبعض رجال الدين الذين عبر عنهم "المعممين الخبثاء"، وهناك أيضاً إشكالية أخرى، وهي أن البعض يقصر دور القرآن على المقابر

[٣٣] راجع كتاب النداء الأخير (الوصية السياسية الإلهية للإمام الخميني قدس سره) ص٣-٤، نشر مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني،الطبعة الثامنة ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م.

والمآتم، كما يلفت أيضاً إلى أن هناك من يستعمله وسيلة للتفرقة والاختلاف، وهناك من يهجره كلياً بحسب ما جاء في عباراته (قده).

▪ الشهيد الصدر وإشكاليات التفسير التجزيئي للقرآن

يعتمد الشهيد الصدر في تفسيرة للقرآن الكريم على ما أسماه بالتفسير الموضوعي الذي يعتمد على الواقع، في قبال ما أسماه الاتجاه التجزيئي، إذ يقول: "اذن فاول اوجه الاختلاف الرئيسية بين الاتجاه التجزيئي في التفسير والاتجاه الموضوعي في التفسير ان الاتجاه التجزيئي يكون دور المفسر فيه دوراً سلبيا يستمع ويسجل بينما التفسير الموضوعي ليس هذا معناه وليس هذا كنهه وانما وظيفة التفسير الموضوعي دائما في كل مرحلة وفي كل عصر ان يحمل كل تراث البشرية الذي عاشه، يحمل افكار عصره، يحمل المقولات التي تعلمها من تجربته البشرية ثم يضعها بين يدي القرآن الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ليحكم على هذه الحصيلة بما يمكن لهذا المفسر ان يفهمه من خلال مجموعة آياته الشريفة"[٣٤].

[٣٤] راجع المدرسة القرآنية للشهيد السيد محمد باقر الصدر ص٢١.

ويردف قائلاً: "اذن فهنا يلتحم القرآن مع الواقع ، واقع الحياة، لان التفسير يبدأ من الواقع وينتهي الى القرآن لا انه يبدأ من القرآن وينتهي في القرآن فيكون عملية منعزلة عن الواقع، بل هذه العملية تبدأ من الواقع وتنتهي بالقرأن بوصفه القيم والمصدر الذي يجدد على ضوئه الاتجاهات الربانية بالنسبة الى ذلك الواقع ومن هنا تبقى للقرآن حينئذ قدرته على القيمومة والعطاء المستجد بشكل دائم فالقرآن الكريم دلت الروايات على انه لا ينفد وصرح القرآن نفسه بأن كلمات الله لا تنفد ، عطاء القرآن لا ينفد بينما التفسير اللغوي ينفد لان اللغة لها طاقات محدودة وليس هناك تجدد في الملول اللغوي ولو وجد تجدد في المدلول اللغوي فلا معنى لتحكيمه على القرآن ، ولو وجدت لغة اخرى بعد القرآن فلا معنى لان يفهم القرآن من خلال لغة جديدة او ألفاظ تحمل مصطلحات جديدة استحدثت بعد القرآن اذن فحالة عدم النفاد تكمن في منهج التفسير الموضوعي لاننا نستنطق القرآن وفيه علم ما كان وعلم ما يأتي ودواء دائنا ، ونظم ما بيننا ، ما يمكن ان نستشف منه مواقف السماء تجاه تجربة الارض .

فمن هنا كان التفسير الموضوعي قادرا على التطور والنمو لان التجربة البشرية تثريه والدرس القرآني والتأمل القرآني على ضوء التجربة البشرية يجعل هذا الثراء محولا الى فهم اسلامي قرآني صحيح"[٣٥].

فالشهيد الصدر يحمل رؤية علمية في التفسير يختلف فيها عن رؤية بعض العلماء الآخرين، بل وينقد كل من يتبع التفسير التجزيئي وهؤلاء من العلماء، فهل يعد ذلك إساءةً وإتهاماً لبعض العلماء بأن طريقة فهمهم وتفسيرهم للقرآن خاطئةً برأيه أو أنه ذلك يتم من باب النقد العلمي؟! بالتأكيد أن هدف ذلك هو النقد العلمي، وليس الإساءة.

▪ الشيخ شمس الدين وإشكالية فهم القرآن في آيات الأحكام

تحدث الشيخ محمد مهدي شمس الدين عن بعض الإشكاليات التي تعاني منها مناهج الإجتهاد برأيه، والذي وصفها بأنها كما يبدو

[٣٥] راجع المصدر السابق ص٢١-٢٢.

له تعاني نقصاً منهجياً، ويذكر مثالاً على ذلك، وهو مثال كبير وخطير كما يصفه، وهو ما جاء في قوله: "ما تعارف عليه الفقهاء من اعتبار أن آيات الأحكام في القرآن الكريم هي خمس مئة وبضع آيات بينما نحن نلاحظ أولاً: أن نسبة الخمس ماية، نسبة آيات الأحكام إلى جميع كتاب الله العزيز هي أقل من العشر، وهو أمر مثير للتساؤل أن يكون أكثر من تسعة أعشار الكتاب الكريم مواعظ وقصصاً وعقائد وأن تكون آيات الأحكام أقل من عشر، أمر مثير للتساؤل، علماً بأن آيات العقائد المباشرة هي أقل بكثير من العشر أيضاً، يبقى كل ما بقي، أكثر من ثمانية أعشار الكتاب الكريم قصص ومواعظ، إنه أمر يحتاج إلى بحث. في التدقيق"[٣٦].

ومن ثم يتحدث عن رأيه بقوله: "أدعي، والله تعالى أعلم ونسأله العصمة، أن آيات الأحكام هي أكثر بكثير مما تعارف عليه الفقهاء والأصوليون، وفي تقديري قد تتجاوز الألف آية، أنا الآن في سبيلي إلى تقصي هذا الأمر، إن الفقهاء رضوان الله عليهم والأصوليين

[٣٦] راجع كتاب التجديد في الفكر الإسلامي للشيخ محمد مهدي شمس الدين ص١٨، الطبعة الأولى ١٩٩٧هـ-١٤١٨هـ.

القدماء جزاهم الله عنا خيراً، انطلقوا في تعاملهم مع القرآن باعتباره مصدراً للتشريع من خلل أو من ضيق في الرؤية المنهجية جعلتهم يرون فقط آيات الأحكام المباشرة التي يتعاطونها، وهي ما يتصل بفقه الأفراد؛ عبادات الفرد، تجارة الفرد، جريمة الفرد، الأسرة، لا أعرف لماذا غفلوا عن البعد التشريعي للمجتمع وللأمة في المجال السياسي والتنظيمي وللعلاقات الداخلية في المجتمع وعلاقات المجتمع مع المجتمعات الأخرى غير المسلمة، لا أدري"[٣٧].

ويردف بقوله: "ولعل بداية عصر التدوين الفقهي التي صادفت الانفصال الكامل بين القيادة السياسية للمسلمين وبين الجانب التشريعي للمسلمين والذي حصل في العهد الأموي المبكر، وبعد ظهور النتيجة التي آلت إليها معركة صفين بانتصار المشروع الأموري حصل انفصال كامل، ووجد في داخل الأمة مساران، مسار السلطة ومسار التشريع، وحاولت السلطة مراراً أن تستوعب حركة التشريع

[٣٧] راجع المصدر السابق ص١٨.

واستعصى عليها ذلك لأن جمهور المحدثين أولاً وبعد ذلك جمهور الفقهاء عصموا أنفسهم عن هذا الأمر"[٣٨].

إن المتأمل في كلمات الشيخ محمد مهدي شمس الدين إذا كان من ضيقي الرؤية والفكر، فإنه سوف يفسر هذا الكلام على أنه إساءة للفقهاء في تعاملهم مع القرآن الكريم، لأنهم لم يلتفتوا إلى ما إلتفت هو إليه !!

- **السيد الخامنئي والقرآن في الحوزة العلمية**

يقول السيد علي الخامنئي مرشد الجمهورية الإسلامية في إيران ضمن كلام له في مدينة قم المقدسة مع طلبة العلوم الدينية: "... واذا أراد أحد كسب أي مقام علمي في الحوزة كان عليه أن لا يفسر القرآن حتى لا يتهم بالجهل، اذ كان ينظر الى الملا المحترم والعالم المفسر الذي يستفيد الناس من تفسيره على إنه جاهل ولا وزن له علمياً، ولذا يضطر إلى ترك درسه، ألا تعتبرن أن ذلك فاجعة؟!"[٣٩].

---

[٣٨] راجع المصدر السابق ص ١٨-١٩.

[٣٩] راجع خطاب السيد الخامنئي مع طلبة (البحث الخارج) في قم المقدسة بتأريخ ١٢ ربيع الأول عام ١٤١٢هـ، وللأسف لم أتكمن من الاطلاع على كامل الخطاب، وإنما أخذت هذا المقطع من كتاب أزمة العقل الشيعي، لمختار الأسدي ص١٢٩،

ويقول السيد الخامنئي: "مما يؤسف له أن بإمكاننا بدء الدراسة ومواصلتنا لها إلى حين استلام إجازة الاجتهاد من دون أن نراجع القرآن ولو مرة واحدة !!! لماذا هكذا ؟! لأن دروسنا لا تعتمد على القرآن"[٤٠].

ويقول كذلك: "قد ترد في الفقه بعض الآيات القرآنية ولكن لا تدرس ولا تبحث بشكل مستفيض كما يجري في الروايات"[٤١]. فهل نعد هذا إساءة للحوزة العلمية وعلمائها أم أننا نعتبر ذلك مجرد نقد لتقويمها؟! يمكننا أن نفهم هذا الخطاب على حسب عقلياتنا والخلفيات الفكرية التي ننطلق منها.

- **الشيخ حيدر حب الله وهجر الدراسات القرآنية في الحوزات**

يقول الشيخ حيدر حب الله: "يؤسفني أن أقول بأنّ الحوزات العلمية والمراكز الدينية الشيعية لم تكن بالمستوى المطلوب

[٤٠] أخذت هذا الشاهد من كتاب الانتصار للشيخ علي الكوراني، المجلد الثالث نقلاً عن كتاب ثوابت ومتغيرات الحوزة للدكتور جعفر الباقري ص١١٠.
[٤١] راجع المصدر السابق.

منها فيما يخصّ الدراسات القرآنية، رغم الجهود الكبيرة والمشكورة التي قدّمتها، فقد هجرت الدراسات القرآنية منذ قرون لصالح تضخم علم الفقه والأصول تارةً، ولصالح تعاظم دور الحديث الشريف تارةً أخرى، كما حصل في العصرين: الإخباري والأصولي منذ القرن الثامن الهجري، وقبل ذلك كانت هناك اهتمامات بالبحث القرآني، كما رأينا مع الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ) والشيخ الطبرسي (ق ٦ هـ) وابن شهر آشوب وغيرهم، ولم نجد عودة نهضة الدرس القرآني إلى الحوزات الشيعية سوى في القرن العشرين، مع مثل العلامة الطباطبائي والعلامة البلاغي والعلامة مغنية والعلامة محمد باقر الصدر وأمثالهم، رغم أنّهم تعرّضوا ـ مع الأسف الشديد ـ للكثير من المضايقات لاشتغالهم بالأبحاث القرآنية التي ما زال ينظر إليها بعض المشتغلين بالدرس الديني على أنّها أبحاث من الدرجة الثانية، مقارنةً بعلوم مثل الفقه وأصول الفقه

الإسلاميَّين"[٤٢] ولا حاجة لمزيد تعليق على هذا الكلام، ويكفي ما ذكرناه في السابق.

- **الشيخ محمد السند مقتضى منهج الطباطبائي وتلامذته عملاً (حسبنا كتاب الله)[٤٣]**

يقول الشيخ محمد السند في درس خارج علم الأصول بعد أن يذكر نظرية السيد الطباطبائي في القرآن الكريم وينقدها يقول: "ولكن مع الاحترام للعلامة الطباطبائي فان هذا المنهج كما مرّ بنا نتيجته ومقتضاه عملاً حسبنا كتاب الله وقد نحى هذا المنحى بعض تلامذة العلامة الطباطبائي"[٤٤]. فهل نعتبر هذا القول إساءة للعلامة الطباطبائي وإتهاماً له ولبعض تلامذته بأن مقتضى منهجهم عملاً هو (حسبنا كتاب الله)؟! طبعاً كما قلنا هذا يعتمد على المنطلقات والعقلية التي ننطلق منها[٤٥].

---

[٤٢] نشر هذا الحوار على موقع وكالة الأنباء القرآنية العالميّة (إيكنا)، عام ٢٠٠٨م.

[٤٣] ولقد ذكرناه سابقاً ولكن لابأس بإعادته لزيادة التوضيح.

[٤٤] راجع بحث خارج الأصول، للشيخ محمد السند، بعنوان: حجية ظواهر السنة، بتاريخ ١٤٣٤/٣/٢٩هـ.

[٤٥] طبعاً نقلنا هنا بعض الأقوال للتوضيح، فيما إذا كنا نريد أن نعتبر كلام السيد الحيدري في ذلك إساءة أو لا، ويمكنكم مراجعة كتاب مشروع المرجعية الدينية وآفاق المستقبل لدى السيد كمال الحيدري، ففيه أيضاً عرض ومقارنة بين كلمات السيد الحيدري في وصفه لبعض العلماء بأنهم علماء الحلال والحرام، وبين كلمات غيره من الأعلام الآخرين، ص٣٩ وما بعدها.

كلمة الختام

حاولت في هذه الوريقات أن أوضح رؤية السيد كمال الحيدري –حفظه الله– حول محورية القرآن ومدارية السنة، كما أرادها هو لا كما فهمها أو أراد أن يفهمها البعض، ولقد ناقشت فيها بإيجاز أهم الإشكالات المثارة حول هذه الرؤية، وأتمنى أن أكون قد وفقت لبيان ذلك على أكمل وجه.